المنهج الأخلاقي عند الراغب الأصفهاني

د. عبير محمد ربيع عاتي
قسم الثقافة الإسلامية – كلية الشريعة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



المنهج الأخلاقي عند الراغب الأصفهاني

د. عبير محمد ربيع عاتي

قسم الثقافة الإسلامية – كلية الشريعة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١/ ٤/ ١٤٤٣ هـ   تاريخ قبول البحث: ٦/ ٨/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

يهدف البحث إلى التعرف على المنهج الأخلاقي عند الإمام الحسين بن محمد بن المفضل، الملقب بـ"الراغب الأصفهاني"، وبيان منهجه الأخلاقي والقيمة التربوية له، وأثر الموروث الإسلامي والفلسفي في صياغة المنهج الأخلاقي عند الإمام الأصفهاني.

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، ويتمثل ذلك المنهج في استقراء أفكار الراغب الأصفهاني المبثوثة في بعض كتبه حول قضية الأخلاق والتخلق بشكل خاص. وتتبع الأدلة الدالة عليها، إضافة إلى تجزئة تلك الأفكار وتحليلها وصولاً إلى الهدف العام منها.

ويشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. وتتضمن المقدمة مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وخطة البحث وإجراءاته. وبشمل التمهيد التعريف بالراغب الأصفهاني وآثاره، أما المبحثان فهما، الأول بعنوان: المنهج العلمي للإمام الراغب الأصفهاني، متضمناً تعريف المنهج وتعريف الأخلاق، والأسس التي قام عليها المنهج الأخلاقي، والثاني بعنوان: التخلق عند الإمام الراغب الأصفهاني، مشتملاً على المواضيع ذات الصلة.

النتائج: من نتائج هذا البحث؛ أن الراغب الأصفهاني كان عالماً أخلاقياً وعارفاً مربياً، وله منهج أخلاقي وآراء متعددة تستحق الدراسة والاهتمام من الباحثين. وقام بتأصيل منهجه الأخلاقي تأصيلاً شرعياً متكاملاً، معتمداً على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

الكلمات المفتاحية: المنهج الأخلاقي، الراغب الأصفهاني، الأخلاق، منهج.

The Ethical Approach of Al-Raghib Al-Isfahani

Dr. Abeer Muhammad Rabih Aati
Department Islamic Culture – Faculty College of Sharia
Imam Muhammad bin Saud Islamic university

Abstract:

The study aims to identify the ethical approach of Imam Al-Hussein bin Muhammad bin Al-Mufaddal, known as Al-Raghib al-Isfahani, and explain his ethical approach and his educational value. The study also aims to identify the impact of the Islamic and philosophical heritage on the formulation of the ethical approach of Al-Raghib al-Isfahani. The study adopted the inductive-analytical approach, which is represented in extrapolating the ideas of Al-Raghib al-Isfahani, tracking the evidence for these ideas through his books and opinions, and analyzing those ideas to reach their general objective. The study includes an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion. The introduction includes the research problem, its importance, objectives, research plan, and procedures; while the preface includes the life of Al-Raghib al-Isfahani and his ethics.

Results: From the results of this study, Al-Raghib al-Isfahani was a moral scholar, knowledgeable, and educator; as he had an ethical approach and multiple opinions worthy of study and attention from researchers. Al- Isfahani rooted his ethical approach in an integrated judiciary manner based on Quranic verses and prophetic Hadiths.

key words: The ethical approach, Al-Raghib al-Isfahani, Ethics, Methodology.

المقدمة:

الحمد لله الخالق المنزه عن كل نقيصة، والموصوف بكل كمال وجمال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، القائل فيه رب العزة: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم: ٤] أما بعد:

فإن الأخلاق تُعدُّ من أهم أسس البناء في المجتمعات، وقد حظيت باهتمام العلماء والحكماء في مختلف العصور. وقد جاء الدين الإسلامي، شاملاً ومتكاملاً لحركة الإنسان، من خلال توجيهه الوجهة الفطرية السليمة. وقد صحَّ عن النبي "صلى الله عليه وسلم" أنه قال: "إنَّما بُعِثتُ لأتمِّم مكارمَ الأخلاق"[1]. تأكيداً منه على أهمية الأخلاق وإتمام مكارمها.

إن وجود المنهج الأخلاقي، ضمانٌ للمجتمع الإسلامي من الانحراف والظلم والفوضى، وفي حال انهيار هذا المنهج، فهو مقدمة لانهيار المجتمع، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾[الإسراء: ١٦]

إن من أهداف الأخلاق في المنهج الإسلامي بناء شخصية المسلم من خلال المبادئ الأخلاقية السامية التي ترتكز على الأسس الإسلامية الشاملة، وليس على المنهج المادي الذي يحصر الإنسان في جانب واحد.

ومن الذين أسهموا في مجال الأخلاق، العلامة والإمام الراغب الأصفهاني، الذي ظهر عارفاً بالأخلاق ومكارمها وكيفية الوصول إليها من

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، الراوي: أبو هريرة، الباب: حسن الخلق، الجزء: الأول، الصفحة: ٦٢، رقم الحديث: ٢٧٣، حكم الحديث: صحيح

خلال المعرفة وتطهير النفس، وحول ماهية الإنسان وحياته بين الدنيا والآخرة، وأفعاله الاختيارية والإجبارية، والسعادة الحقيقية الأخروية التي تكتمل بالفضائل. معتمداً على كتاب الله والسنة النبوية الشريفة وأقوال الصحابة "رضي الله عنهم"، وعلوم الفلسفة في صياغة منهجه الأخلاقي.

الدراسات السابقة:

بناء على اطلاع الباحثة، فإنَّ هناك ثمة دراسات سابقة ذات علاقة بموضوع البحث، ومن أبرزها:

١. الراغب الأصفهاني وآراؤه في كيفية حل المشكلة الأخلاقية، للأستاذ الدكتور مصطفى حلمي، منشورة على موقع (الألوكة) الإلكتروني بتاريخ ٢٠١٣/٣/٢م. وتهدف الدراسة إلى شرح منهج الراغب الأصفهاني في ميدان الأخلاق، مرتكزاً على الإنسان وكيفية خلقه ومكانته وتحسين خلقه، وشرح آراء الأصفهاني المذكورة من أجل تحقيق سعادة الإنسان والوصول به إلى حياة أفضل، وصولاً به إلى السعادة الأخروية.

٢. الأخلاق عند الراغب الأصفهاني، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية البنات بجامعة عين شمس بالقاهرة، من إعداد الباحث محمود حميدة عبد الكريم، ١٩٩٠م. والهدف من الدراسة، الكشف عن الجهود التي بذلها الإمام الراغب الأصفهاني في مجال الأخلاق. حيث يتناول في الباب الأول فكر الإمام الراغب الأصفهاني، ويتكون من فصلين: أما الفصل الأول فيتحدث عن نشاط الإمام الأصفهاني وإسهاماته في الثقافة الإسلامية والإنسانية. والفصل الثاني يتناول فكره الفلسفي ومنهجه في البحث. أما

الباب الثاني فيتناول أركان الأخلاق ويتكون من فصلين: الفصل الأول حول الإنسان وتكوينه، والفصل الثاني عن دراسة الفعل الإنساني وبواعثه ومقاصده. والباب الثالث عن المسؤولية والجزاء، ويتكون من فصلين: يتناول الفصل الأول المسؤولية وشروطها، والفصل الثاني يتعرض للجزاء وخصائصه. أما الفصل الرابع فموضوعه الفضائل الإنسانية من فصلين: الفصل الأول يتناول مفهوم الفضيلة عند الراغب، والفصل الثاني يتعرض لمفردات الفضائل.

٣. مع الراغب الأصفهاني في كتاب الذريعة، دراسة للدكتور فارس الغراوي، منشورة في جزأين على موقع "الألوكة" الإلكتروني، الجزء الأول بتاريخ ٢٠١٧/٦/٨م، والجزء الثاني بتاريخ ٢٠١٧/٦/١٢م. وتهدف الدراسة إلى الوقوف على أهم الفوائد المستقاة من كتاب "الذريعة إلى مكارم الشريعة"، وشرحها وتحليلها بأسلوب منهجي.

٤. فلسفة الموت والحياة في فكر الراغب الأصفهاني، للباحث المختاري سعيد. وتركز الدراسة على الحياة والموت، ونظرة الأصفهاني إليهما، دون ذكر منهجية معينة للبحث، أو أهداف له.

٥. منهج الراغب الأصفهاني في كتاب المفردات في غريب القرآن، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الدراسات العليا بجامعة الخرطوم، إعداد الباحث محمد أحمد إدريس، ٢٠٠٧م. وتهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على أسلوب الراغب ومنهجه وطريقته المتفردة التي تميز بها في كتابه "المفردات

في غريب القرآن"، ومحاولة لمعرفة أسلوب الكاتب في معالجة ألفاظ القرآن الكريم.

٦. تعريف بالراغب الأصفهاني وكتابه الذريعة في مطلع تحقيقه لكتاب "الذريعة إلى مكارم الشريعة" للأستاذ الدكتور أبو اليزيد العجمي. تطرق فيه الدكتور لحياة وآثار الأصفهاني والإشكاليات المثارة حول شخصيته، وتأثره بالفلسفة اليونانية.

حاولت الباحثة في هذا البحث، أن تقدم موضوعاً مستقلاً عن "المنهج الأخلاقي عند الراغب الأصفهاني"، والعوامل التي شكلت مصدراً لذلك المنهج، إضافة إلى منهجه العلمي في مجال الأخلاق، ومفرداته.

أسئلة البحث:

١. ما منهج الإمام الراغب الأصفهاني الأخلاقي؟

٢. ما المصادر التي استند إليها الراغب الأصفهاني في صياغة منهجه الأخلاقي؟

٣. ما درجة تأثر الراغب الأصفهاني بالفلسفة اليونانية؟

٤. ما المضامين الأخلاقية التي عرضها الأصفهاني؟

أهمية الموضوع:

١. إبراز شخصية الراغب الأصفهاني، وهو إمام كبير من أئمة المسلمين.

٢. هناك آراء متعددة للراغب في الأخلاق، وظهر ذلك في أهم كتبه "الذريعة إلى مكارم الشريعة".

٣. أن البحث يعنى بشكل أساسي باستقراء وتحليل المنهج الأخلاقي عند الراغب الأصفهاني.

٤. المساهمة في إثراء المكتبة العربية بمزيد من الأبحاث حول آراء الإمام الراغب الأصفهاني.

أهداف البحث:

١. بيان منهج الراغب الأصفهاني الأخلاقي.

٢. التعرف إلى شخصية الراغب الأصفهاني.

٣. معرفة مصادر المنهج الأخلاقي عند الأصفهاني.

٤. تأصيل المنهج الأخلاقي عند الراغب الأصفهاني.

٥. إظهار جهود العلماء المسلمين في علم الأخلاق.

٦. معرفة المضامين الأخلاقية التي عرضها الأصفهاني.

خطة البحث:

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، ويتمثل ذلك المنهج في استقراء أفكار الراغب الأصفهاني المبثوثة في كتبه، وتتبع الأدلة الدالة عليها، إضافة إلى تجزئة تلك الأفكار وتحليلها وصولاً إلى الهدف العام منها.

واشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وتوصيات وخاتمة، وتضمنت المقدمة مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وخطة البحث وإجراءاته. وتضمن التمهيد التعريف بالراغب الأصفهاني وآثاره العلمية. واقتضت طبيعة البحث أن يقسَّم إلى مبحثين وهما، الأول بعنوان: المنهج العلمي للإمام الراغب الأصفهاني، متضمناً تعريف المنهج وتعريف الأخلاق، والأسس التي

قام عليها المنهج الأخلاقي، والثاني بعنوان: التخلق عند الإمام الراغب الأصفهاني، مشتملاً على المواضيع ذات الصلة. أما النتائج فكان من أبرزها أن الإمام الراغب الأصفهاني كان عالماً أخلاقياً، وله منهج أخلاقي وآراء متعددة تستحق الدراسة والاهتمام من الباحثين. وقام بتأصيل منهجه الأخلاقي تأصيلاً شرعياً متكاملاً، معتمداً على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

التمهيد:

أولاً: التعريف بالراغب الأصفهاني

هو أبو القاسم، الحسين بن مفضل بن محمد، المعروف بـ "الراغب الأصفهاني". وقد ورد اسمه على هذا النحو في آثاره وكتبه، فيما انفرد السيوطي بذكر اسمه على أنه: المفضل بن محمد[1]، وقد ذكرته بعض المراجع باسم: الفضل، أو أبو محمد بن الحسين الأصفهاني.

ولم تحدد المصادر مكان ولادة ونشأة الأصفهاني، وعرف أنه كان "أديباً من الحكماء العلماء، من أهل أصبهان سكان بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي"[2].

مذهبه العقدي والفقهي:

اختلف المؤرخون في نسبته لمذهب عقدي معين، حيث نسبه الذهبي والسيوطي والفيروزآبادي والبيهقي لأهل السنة[3]، فيما نسبه الطبرسي إلى الشيعة الإمامية[4]، وقال بعضهم: هو من المعتزلة[5]، فيما قال آخرون: إنه أشعري[6].

---

(١) انظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٢٩٧/٢

(٢) الزركلي، الأعلام، ٢٥٥/٢

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢٠/١٨

(٤) انظر: الأصبهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، ١٧٢/٢

(٥) انظر: الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ٨٣

(٦) انظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٧

أما في الجانب الفقهي، فإن أغلب المؤرخين والفقهاء لم يحسبوه على مذهب فقهي بعينه، وذلك لأنه لم يصرح بمذهبه الفقهي، وكان يذكر المقولات ثم يرجح بينها، حيث لم يكن من المقلدين في الفروع الفقهية، وكان مجتهداً في ذلك. إلا أن الخوانساري رجح أن يكون الراغب على المذهب الشافعي، يقول: "وكان من الشافعية كما استفيد لنا من فقه محاضراته"[١].

آثاره العلمية:

ترك الأصفهاني مؤلفات كثيرة ومتنوعة في التفسير واللغة والعلوم والأخلاق، طبعت منها عدة كتب، فيما لم تزل هناك العديد من المخطوطات. ومن مؤلفاته التي ذكرها الزركلي[٢]:

- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة.
- المفردات في غريب القرآن.
- محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء.
- أخلاق الراغب أو كتاب الأخلاق.
- أفانين البلاغة.
- رسالة في الاعتقاد.
- جامع التفسير.

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٢٣٨

(٢) الزركلي، الأعلام، ٢/٢٥٥

- حل متشابهات القرآن.
- تحقيق البيان في تأويل القرآن.

ويضاف إلى تلك المؤلفات ما ألفه الراغب وهي[1]:

- التفسير الكبير ذكره الفيروزآبادي.
- التفسير الصغير ذكره صاحب كتاب كشف الظنون.
- احتجاج القراء.
- المعاني الأكبر.
- الرسالة المنبهة على فوائد القرآن.
- مختصر إصلاح المنطق.
- رسالة في آداب مخالطة الناس.
- رسالة في الاعتقاد.
- الإيمان والكفر.
- رسالة في مراتب العلوم.
- كتاب كلمات الصحابة.
- أصول الاشتقاق.
- رسالة في شرح حديث "ستفترق أمتي".
- تحقيق الألفاظ المترادفة.
- رسالة تحقيق مناسبات الألفاظ.

---

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٣،٤

وفاته:

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد تاريخ وفاة الراغب الأصفهاني، وذكرت أقوالاً مختلفة، ولكن أصح المصادر، تكشف أن وفاته كانت في أوائل القرن الخامس. وهو ما ذهب إليه السيوطي[1].

ثانياً: تعريف المنهج الأخلاقي

١. تعريف المنهج لغة واصطلاحاً:

جاء في لغة العرب من مادة (نَهَجَ)، والنَّهْج: الطريق، ونهج ولي الأمر: أوضحه، وفلان نهج سبيل فلان: سلك مسلكه، والجمع: نُهُج، ومناهج. وعلى ذلك فالمنهج يعني الطريق الواضح والخطة المرسومة للسير عليها[2]. كما وردت بنفس المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة: ٤٨]

وعرفه الباحثون اصطلاحاً بأنه "أساليب معروفة لنا تستخدم في عملية تحصيل المعرفة الخاصة بموضوع معين. أما المنهج العلمي فيمكن تعريفه بأنه "تحليل منسق وتنظيم للمبادئ والعمليات العقلية والتجريبية التي توجه بالضرورة البحث العلمي أو ما تؤلفه بنية العلوم الخاصة"[3].

(١) انظر: السيوطي، بغية الوعاة، ص٣٩٧

(٢) أبادي، القاموس المحيط، باب الجيم فصل النون

(٣) قاسم، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، ص٥٢

أو "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين"(١).

٢. تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً:

"الأخلاق" لغةً: جمع خُلُق، مأخوذ من مادة: (خ ل ق). قال ابن منظور: "الخُلُق هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته: أن صورة الإنسان الباطنة – وهي نفسه – وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخُلُق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها"(٢).

أما تعريف الأخلاق اصطلاحاً، فقد اختلفت التعريفات تبعاً لاختلاف المعرفين وغايتهم منه. فقد عرفها الغزالي بقوله: "فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية"(٣). وعرف ابن القيم الخلق بأنه: "هيئة مركبة من علوم صادقة، وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق، والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكتسب النفس بها أخلاقاً، هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها"(٤).

وذهب ابن عاشور إلى تعريف الأخلاق بأنها تلك السجايا التي تشتمل على طبائع خير وطبائع شر، فلا يعرف أحدهما إلا بقيد بضم إليه. فنقول

(١) بدوي، مناهج البحث، ص١ – ٦

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٠/٨٦

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣، ص٦٧

(٤) ابن القيم، التبيان في أقسم القرآن، ص١٣٥، ١٣٦

خلق حسن وفي مقابله خلق قبيح، فإذا أطلق عن التقييد كان المقصود به الخلق الحسن[١].

أما الرَّاغب الأصفهاني، فقد عرف الخلق بقوله: "الخلق أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء (...) والخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحد (...) لكن خص الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلْق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة"[٢].

واعتبر أن أفضل ما أعطى الله للإنسان الخلق الحسن، وقسمه إلى نوعين: إما خلق يأتي للهيئة أو للفعل الصادر، وله عدة أسماء، مثل: العفة والشجاعة والعدالة وغيرها. يقول: قد روي أفضل الأفعال الخلق الحسن وروي ما أعطى الله أفضل من خلق حسن، فجعل الخلق مرة للهيئة الموجودة في النفس التي يصدر عنها الفعل بلا فكر، وجعل مرة اسماً للفعل الصادر عنه باسمه، وعلى ذلك أسماء أنواعها: نحو العفة والعدالة والشجاعة، فإن ذلك يقال للهيئة، وللفعل جميعاً. وربما سميت الهيئة باسم، والفعل الصادر عنها باسم، كالسخاء والجود، فإن السخاء اسم للهيئة التي عليها الإنسان، والجود اسم للفعل الصادر عنها، وإن كان قد يسمى كل واحد باسم الآخر[٣].

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٩/ ١٧١ - ١٧٢

(٢) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٢٩٧

(٣) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٥٠

أما المنهج الأخلاقي، فقد عرفه بعض الباحثين بأنه: "مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو تحقيق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"[1].

وعرفه بعضهم بأنه: "علم التعرف على الحقوق والواجبات"[2].

بناء على ما سبق، فإن الأخلاق هي مجموعة القواعد التي وافقت النصوص الشرعية، في مراعاة فعل الخير وتجنب فعل الشر وترتيب علاقة الإنسان مع نفسه ومع غيره.

((١) زمزمي، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، ص١٢

(٢) المرجع السابق

المبحث الأول: المنهج العلمي للإمام الراغب الأصفهاني وأثره في منهجه الأخلاقي

لقد صاغ الإمام الراغب الأصفهاني منهجه الأخلاقي استناداً إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال الصحابة "رضي الله عنهم". كما رأى التوفيق بين العقل والشرع، فلا استقلال لأحدهما عن الآخر. إضافة العلوم والمعارف الفلسفية التي عرفها الراغب الأصفهاني.

لقد مثلت هذه المصادر، أهم العوامل في تحديد المنهج الأخلاقي عند الراغب الأصفهاني، واشتملت عليها مجمل آرائه وأفكاره.

١. الاسترشاد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال الصحابة "رضي الله عنهم".

برز الراغب الأصفهاني بمنهجه الأخلاقي المتمسك فيه بالنص والشرع، حيث عالج من خلاله القضايا الأخلاقية. وقام الأصفهاني بعمل جليل في تأصيل المنهج الأخلاقي في ضوء الشريعة الإسلامية والاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين.

لقد استند الراغب الأصفهاني إلى الآيات القرآنية للاستدلال على مفاهيم متعددة مستخلصاً فكرة "عمارة الأرض" كتأسيس أخلاقي لوجود الإنسان على هذه الأرض، وأحد الأهداف الإلهية من خلق الإنسان [1]. فهو يرى أن الغرض الأسمى بعد عبادة الله هو عمارة الأرض، حيث إن منزلة الإنسان وقيمته لا تتمثل إلا بالنظر إلى علاقته بغيره من المخلوقات حوله:

---

(١) انظر: حلمي، الذريعة كما يوضحها الراغب، ص٢١٠

الكون، البيئة وسائر الكائنات، لا بالنظر إلى الإنسان في ذاته[1]. والأفعال المختصة به هي:

أ. عمارة الأرض في قول الله ﷻ: ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾[هود: ٦١] وذلك فيه تحصيل المعاش. لنفسه ولغيره.

ب. عبادته لله في قول الله عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وذلك هو الاستسلام والامتثال لله سبحانه في عبادته في أوامره ونواهيه.

ت. خلافته[2]. في قوله ﷻ: ﴿وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٢٩] وهي تمثل الاقتداء بالباري على قدر طاقته في السياسة باستعمال مكارم الشريعة، وهي الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس في الحكم والإحسان والفضل، والغاية بلوغ جنة المأوى.

لقد اشترط الأصفهاني لخلافة الله[3] أن يكون الإنسان طاهر النفس. فالنفس تصيبها النجاسة وندرك ذلك بالبصيرة، كما تصيب النجاسة البدن وندرك ذلك بالبصر[4]. والدليل عليه قول الله تعالى في الآيات التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾[التوبة: ٢٨].

---

(١) انظر: أحمد، آراء تربوية للراغب الأصفهاني، ص١٧

(٢) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٣٢

(٣) الخلافة من معاني لفظ "الخليفة"؛ لأن البشر يخلف بعضهم بعضاً، وأن كل فرد منهم مستخلَف من الله استخلافَ تكريم وتشريف مع الابتلاء والامتحان

(٤) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٣٦

- ﴿ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].
- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٣].
- ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٨].

وقد شرّف الله الإنسان حين أضاف الروح إليه، فالمقصود بالروح هي النفس في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩]. "حيث إن إضافة الروح إلى الله ﷻ تشريف لها"[١].

واستدل على أهمية المعرفة والتفكر بما ساقه من آيات الذكر الحكيم: حيث قال ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]. فقد حث الله تعالى على تدبر النفس والتفكير فيها وجعل معرفتها مقرونة بمعرفته ﷻ في قوله الكريم: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

وكذلك الحال بالنسبة للسنة النبوية، فقد استنبط الإمام الأصفهاني الأخلاق منها، فلم يذكر خلقاً أو مفهوماً أو سمةً إلا ودلل عليها بالشواهد من السنة النبوية ما يوافق ذلك ويدعمه. فقد استدل على مكانة العقل وأنه أول جوهر أوجده الله، حيث استند إلى قول بعض العلماء: إذا مال العقل نحو مؤلم جميل، والهوى نحو ملذ قبيح فتنازعا بحسب غرضيهما وتحاكما إلى

(١) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ١٩

القوة المدبرة، بادر نور الله تعالى إلى نصرة العقل ووساوس الشيطان إلى نصرة الهوى"[1].

كما اشترط الإمام الأصفهاني، أن تكون تلك السجية أو الخلق مبنية إما ببديهة العقل أو بالكتاب أو بلسان النبي أو بإجماع الأمة أو بالاعتبارات والأقيسة المبنية على هذه الأصول [2]. مدللاً على خطاب النبي "صلى الله عليه وسلم" لسعد "إنك لتؤجر في كل شيء حتى اللقمة تضعها في في امرأتك"[3]. وعلى ذلك قال الأصفهاني: "وعلى هذا الوجه قال: ما من مسلم غرس غرساً لم يأكل منه شيئاً إلا كان له صدقة"[4].

لقد استقصى الراغب الأصفهاني ما تضمنته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من توجيهات أخلاقية بأنواعها، وأسس عليها منهجه الأخلاقي الذي يرتكز عليها بشكل رئيس، حيث يقوم بحشد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في سبيل تأكيد المعنى الذي يقصده، وتعزيز رأيه بالأدلة.

---

(١) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٩٢

(٢) انظر: الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٧٦

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، الجزء: الأول، الصفحة:٢٤، رقم الحديث: ٥٥

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساقاة والمزارعة، الباب: باب فضل الغرس والزرع، الجزء: الثالث، الصفحة: ٧٢٨، رقم الحديث: ١٥٥٢.

وبذلك يتبين لنا مدى ارتباط المنهج الأخلاقي بالتشريع الإسلامي، حيث إن الأخلاق سمة بارزة في تلك الجوانب والمعارف، وتقوم عليها أصولها التهذيبية والتشريعية[1].

لقد بيّن الراغب الأصفهاني منهجه في دراسة الأخلاق من خلال اعتباره أن استخلاف الله للإنسان لا يمكن أن تصح إلا بتطهير النفس، كما أن الصلاة التي هي أشرف العبادات لا تتم إلا بتطهير الجسم. ويبين سبب بيان منهجه بقوله: "وقد استخرت الله تعالى الآن، وعملت في ذلك كتاباً يكون ذريعة إلى مكارم الشريعة وبينت كيف يصل الإنسان إلى منزل العبودية التي جعلها الله تعالى شرفاً للصديقين والشهداء"[2].

وبذلك أوضح أن طهارة النفس هي السبيل للوصول إلى المكرمة الإلهية في خلافة الله على الأرض. وأضاف أيضاً أنه من خلال الجمع بين الشرع وأحكامه ومكارمه علماً وعملاً، يكتسب الإنسان العلا ويبلغ الجنة[3]. وبذلك يحدد المنهج تحديداً دقيقاً في العمل وفق الشرع وبما لا يتعارض معه.

---

(١) انظر: نصيف، أخلاقنا في الميزان، ص٣٣

(٢) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٦

(٣) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٦

٢. تقديم الشرع على العقل

يعد الراغب الأصفهاني الشرع في مرتبة أعلى من العقل، فهو القائد والعقل تابع. فالشرع يجري مجرى الغذاء الحافظ للصحة، بينما يجري العقل مجرى الدواء الجالب للصحة. وبذلك يسلك مسلك التكامل بين العقل والشرع.

ونستدل على منهج الأصفهاني في التكامل بين العقل والشرع بما قاله: "وإن كان إنزالهما من الله تعالى قد يكونان مختلفين، وجمع بينهما في الذكر لحاجة كل واحد منهما إلى الآخر. فقد قيل: لولا الكتاب لأصبح العقل حائراً، ولولا القعل لم ينتفع بالكتاب، وقد قيل الكتاب بمنزلة اليد، والعقل بمنزلة الميزان، ولا تعرف المقادير إلا بهما. يقول تعالى: "وأنزل الكتاب بالحق والميزان"[(١)].

يقول الراغب الأصفهاني في مقدمة كتابه "الذريعة إلى مكارم الشريعة": "إنه باكتساب المكرمة يستحق الإنسان أن يوصف بكونه خليفة الله تعالى"[(٢)]. فاستخلاف الله تعالى للإنسان، لا يكون إلا بهذه المكرمة العقلية التي يتحلى بها، والتي تؤهله ليكون في موضع الخليفة في الأرض، بوصفه تكليفاً إلهياً.

ويقول الأصفهاني في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن الكريم" معززاً رأيه: "إن الخلافة قد تكون لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله

(١) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص١٠٥

(٢) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٥

أولياءه في الأرض"[1]. أي أن هذا التكليف الإلهي هو تشريف أيضاً لهذا الإنسان، بوصوله إلى هذه المرتبة العظيمة، ولكن يشترط بذلك التقوى، حيث يكون المعني بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. وبهذا يكون الإنسان صالحاً ومؤهلاً لخلافة الله ﷻ على الأرض.

إذن، فاستخلاف الله للإنسان هي مكرمة يستحقها، ولكن على الإنسان أن يقوم بحقها من خلال علمه وعمله، حيث يقول الراغب الأصفهاني في نصائحه: "كن أيها الأخ عالماً وبعلمك عاملاً تكن من أولياء الله"[2]. مستدلاً بقوله الله عزوجل: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢].

وفي المقابل يحذرنا من غواية الشيطان بأعراض الدنيا وزخارفها فيجعلنا من أوليائه[3]. مستدلاً على ذلك بقوله الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٥]. والسبيل إلى ذلك يكون بنعمة العقل، التي هي المكرمة الإلهية الكبرى للإنسان، فهي النور الهادي إلى صراط المستقيم. يقول الأصفهاني: بأن الله ﷻ جعل العقل وكتابه نوراً هادياً والعبادة التي أمرنا بها حصناً وافياً[4]. وقد مثّل على ذلك بقوله الله

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص١٥٦

(٢) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٧

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٧

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٦

تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ ﴾ [النور: ٣٥]. حيث جعل المصباح مثلاً للعقل، والمشكاة مثلاً لصدر المؤمن، والزجاجة لقلبه والشجرة المباركة وهي الزيتونة للدين وجعلها لا شرقية ولا غربية.

ويقول الأصفهاني في رسائله، إن للإنسان إذنًا، فعلًا يختص به، لأجله خلق، وهو الفكر والرؤية، التي بهما يتوصل إلى العلم والعمل المحكم، ولأجلها جعل خليفة الله في الأرض (١). أي أن العقل، يلزمه الفعل وبه يصل إلى المعرفة بالعلم، والحصول على التكليف الإلهي بخلافة الله وعمارة الأرض. وبذلك مزج الفكر بالواقع، وأعطى مدلولًا مبتكرًا للحرية بشقيها الميتافيزيقي والأخلاقي لما أثبته من حرية الإنسان في اختيار أفعاله، إلى جانب مدلول الحرية المعبر عن سيطرة الإنسان على أهوائه وشهواته (٢).

وعن كيفية التعرف إلى العلوم، فإنه يقول: لا يمكن لأحد أن يعي العلوم الشريفة حتى يمحو من ذهنه الأمور الدنيّة، فتصلح أخلاقه كلها، فهذه العلوم لا تتصل إلا بالقلوب الطاهرة. ويشير الراغب إلى الصفات التي يجب أن يتحلى بها متلقي العلوم والفضائل:

أ. أن يعرف المرء الغرض الذي لأجله إليك سلك.

ب. يعرف أقصر الطرق إليه.

---

(١)انظر: الأصفهاني، رسالة في أدب الاختلاط بالناس، ص١٥٢

(٢) انظر: حلمي، الذريعة كما يوضحها الراغب الأصفهاني، ص٣

ت. أن يقدم ما لا يسمح جهله، إذ الأهم المعتبر في كل فن بالأصول قبل الفروع، وذلك بأن يطلب جنس العلم قبل فروعه، ونوعه قبل جزيئاته[1].

وعن أهمية العقل في التدبر والتفكير والتمييز، يمثل الأصفهاني أنه كما أن في البيدر تذرية وتمييزاً بين النقاوة والحطام، فكذلك في الآخرة تميز بين الحسنى والآثام. قال الله ﷻ: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٧].

يستفاد مما سبق أن الإنسان لا يحقق هذه المكرمة إلا بوسيلتين: العقل والدين معاً، وبذلك نجمل دور العقل في ثلاث وظائف هي:

أ. تمييز الفضائل من الرذائل، واكتساب الفضائل، وتجنب الرذائل.

ب. التزام ما يحسن العمل به في دار الدنيا بما يعود عليه بالسعادة الأخروية.

ت. حسن العمل فيما يلزم المرء في دار الدنيا من أعمال ووظائف حياتية.

في قضية الشرع والعقل، فإن الأصفهاني قد وافق معتقد أهل السنة في أنه لا تعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، وأن العقل تابع للشرع، وبذلك لا يجوز أن نطلق العنان للعقل، ليضع الأخلاق ويؤسسها كما يشاء.

---

(١) انظر: أحمد، آراء تربوية للراغب الأصفهاني، ص١٧

٣. معرفته بالعلوم والفلسفة:

كان للفلسفة اليونانية تأثير ملموس على العلوم الأخلاقية، وخاصة آراء أرسطو وأفلاطون، وقد تأثر بهما العديد من العلماء المسلمين، من أمثال الغزالي وابن مسكويه.

وقد استعان الأصفهاني بالفلسفة في الأخلاق وذلك لمعرفته بها واطلاعه عليها، "فالفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها، ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس.. وهذا نفسه لا غيره هو الغرض من الشريعة"[1].

وقد رأينا أنه وافق أفلاطون في رأيه، أن النفس "تنقسم إلى ثلاثة نفوس تقوم كل واحدة بذاتها، بحيث تكون إحداها وسيلة للاتصال بعالم العقل وأخرى للاتصال بعالم الحس، والثالثة كرباط بين هذين الوجهين، وتعتمد لديه هذه التفرقة على أساس تشريحي بمعنى أن العقل مركزه الرأس، والغضب مكانه القلب، والشهوة مكانها البطن"[2].

وقسم الإمام الأصفهاني النفس إلى ثلاث قوى: فكر وشهوة وحمية، وأوجب تطهيرها كما يلي:

- قوة الفكر بتهذيبها حتى تحصل الحكمة والعلم.
- قوة الشهوة بقمعها حتى تحصل العفة والجود.

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص١٧١

(٢) با أخضر، النفس عند الفلاسفة الإغريق، ص١٢٩

- قوة الحمية باستيلائها حتى ينقاد للعقل فيحصل الشجاعة والحلم، فيتولد من اجتماع ذلك العدل [1].

ويلاحظ تأثر الراغب الأصفهاني بالتقسيم الأرسطي للقوى الثلاث، لكنه اتجه من خلاله للحديث عن الخلافة، والعبادة، وتحديد رسالة الإنسان، وذاك بربطها بالقوى السابقة، ذلك أن الراغب يملأ هذا التقسيم بفهم إسلامي ومحتوى قرآني وحديثي، الأمر الذي يجعلنا نقول: إن الراغب مع أخذه بالتقسيم الأرسطي، فإنه لم يخضه لكل ما جاء به، بل كأنه أثبت أن من الممكن الاستفادة من شكل لا يؤثر على المضمون الإسلامي [2].

وعليه، فإنه يرى أن النفس واحدة ولها ثلاث قوى تتحدد مع بعضها. مبيناً أن طهارة النفس مرهونة بإصلاح هذه القوى الثلاث. فالفكر يصلح بالعلم والشهوة تصلح بالعفة والحمية تصلح بتعويدها وتدريبها على الفعل الحسن حتى يحصل الحلم. ويذكر أيضاً قوله ﷻ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف: ١٩٩].

يعد الراغب الإنسان قد أعطي التمييز الذي يمكنه من خلاله أن يتخذ ما يريد، كما أن كل ما أوجد في هذا العالم، فإنما أوجد لأجل الإنسان، وذلك للانتفاع به. و"بإصلاح القوى الثلاث يحصل للنفس العدالة والإحسان، وهذه جماع المكارم من طهارة النفس وحسن الخلق الممدوح"[3].

---

(١) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٣٩

(٢) انظر: الأصفهاني، الذريعة، ت: العجمي، ص٤١

(٣) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٤٨

واستدل بقول رسول الله – ﷺ -: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله"(١).

نستنتج أن قوة العقل عند الراغب الأصفهاني هي أرقى وأشرف القوى، وأن الصراع بين القوى الثلاث مرده التباين بينها، فإذا ما طغت قوة على أخرى أضرت بها. والإنسان العاقل هو القادر على التمييز بينها وتحديد قيمته ومكانته.

والأصفهاني متأثر إلى حد كبير – بتقسيم أرسطو للفضائل – إلا أنه أخذ بمذهب الوسط في تحديد الفضائل، وينهج منهجاً مختلفاً، حيث إنه لا يكاد يقول قولاً إلا ويستشهد عليه بآية أو حديث أو بهما، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من عدد من الآيات وعدد من الأحاديث، وحتى مع افتراض أنه أحياناً يستشهد بأحاديث لم تسلم من الطعن(٢).

كما تكلم الراغب الأصفهاني عن المعرفة من وجهة نظر فلسفية، وهو ما دل على غزارة فكره وعمق درايته واطلاعه على علوم الفلاسفة القدماء والمعاصرين له، فقد دل على ذلك قوله في كتابه "تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين: "قالت الحكماء مرة: أول ما يلزم الإنسان معرفته نفسه. وقالوا

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، الراوي: أبو هريرة، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، الجزء: الثاني، الصفحة: ٤٥٤، رقم الحديث: ١١٦٢، المحدث: الألباني، حكم الحديث: حسن صحيح

(٢) انظر: الأصفهاني، الذريعة، ت: العجمي، ص٢١

مرةً: أول ما يلزمه معرفة الله تعالى. وليس بين هذين القولين منافاة"[1]. معتبراً أن معرفة الله هي أفضل المعارف.

يكشف لنا الأصفهاني من خلال منهجه أنه واقعي، وذلك من خلال تصوير ملكات النفس وتحليلها وفي معالجته موضوع القوى الشهوية خاصة فإنه لا ينطلق من اتهام الإنسان بالخطيئة الأولى التي يسأل عنها الأحفاد على نحو ما ذهب إليه متكلمو المسيحية لأنه فيلسوف إسلامي ينطلق من الاعتقاد بأن المسؤولية شخصية فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا ينوء الخلف بأوزار السلف ولا يسأل عن الخطيئة الأولى[2].

---

(١) الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص١٠

(٢) انظر: الناهي، الخوالد من آراء الأصفهاني، ص٤٨

المبحث الثاني: التخلق عند الراغب الأصفهاني

انتقل الراغب الأصفهاني بالمعارف الأخلاقية للنفس من المستوى النظري إلى المستوى التطبيقي، راغباً في تحقيق الهدف الإنساني على هذه الأرض المتمثل في التكليف الإلهي وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، أما بالنسبة للمستوى النظري فيتعلق بتحديد الأصول، والجانب العملي يعنى بممارستها وعدم الاكتفاء بالمعرفة فقط. "فمعرفة النفس عند الراغب تتفرع إلى معارف متعددة إذ هي الوسيلة عنده إلى المعرفة الخارجية للكون ومعرفة واجب الوجود.. وهي الوسيلة إلى عدد من المعارف الإنسانية من خلقية وسياسية"[1].

وفيما يلي نستعرض أهم المعارف التي تطرق لها الراغب الأصفهاني في تأسيس منهجه الأخلاقي.

أولاً: معرفة النفس

وفي هذا يقول الراغب الأصفهاني: "للإنسان فضل على الحيوانات كلها في نفسه وجسمه"[2]. أما فضله في النفس فبالعقل والعلم والحكمة والتدبير والرأي، وهذا مما لا يحصل عند البهائم وإن كانت تحس وتتخيل. أما فضل الإنسان في جسمه، فيكون ذلك من خلال يده العاملة ولسانه الناطق وقامته المنتصبة، حيث يسخر من خلال ذلك ما خلقه الله في العالم[3].

---

(١) الناهي، الخوالد من آراء الراغب الأصفهاني، ص٣٦

(٢) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٥

(٣) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٦

لقد عد الراغب معرفة الله أفضل المعارف على الإطلاق وهي حقيق بذلك، وفي معرفة النفس إطلاع على أمور كثيرة. وهي كالتالي:

- أنه بواسطتها يتوصل الإنسان إلى معرفة غيرها ومن جهلها جهل كل ما عداها.
- أن نفس الإنسان مجمع الموجودات، فمن عرفها فقد عرف الموجودات.
- أن من عرف نفسه عرف العالم ومن عرفه صار في حكم المشاهد لله تعالى.
- أنه يعرف بمعرفة روحه العالم الروحي وبقائه وبمعرفة جسده العالم الجسداني وفنائه فيعرف خسة الفانيات وشرف الباقيات الصالحات.
- أن من عرف نفسه عرف أعداءه الكامنة فيها.
- أن من عرف نفسه عرف أن يسوسها ومن أحسن أن يسوس نفسه أحسن أن يسوس العالم فيصير من خلفاء الله المذكورين.
- أن من عرفها لم يجد عيباً في أحد إلا رآه موجوداً في ذاته إما ظاهراً منبعثاً أو كامناً فيه.
- أن من عرف نفسه، فقد عرف الله تعالى[1].

لقد اعتبر الأصفهاني أن دواء النفس ومطهرها يكمن في العلم والعبادة. وأن أثر ذلك في النفس، مشابه لأثر الماء على البدن تطهيراً[2]، والدليل على

---

(١) انظر: الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص١٠، ١٣

(٢) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٣٨

ذلك من قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. وهنا إحياء الناس، يتمثل في الاستجابة لله ورسوله، والعمل بأوامرهما واجتناب نواهيهما.

نستنج مما سبق أن الأصفهاني تكلم من منطلق منطقي حول طهارة النفس، وأنه شرط لاستخلاف الله على الأرض، فلا يمكن قبول ما دون ذلك، وقد هدف الأصفهاني من وراء ذلك تحقيق تجربة أخلاقية سامية، تسمو بالنفس الإنسانية في الحياة الدنيا، والفوز بالسعادة الحقيقية في الآخرة.

كما أن الأصفهاني، قد ساق هذه المعارف العقلية، بتجرد فلسفي، لكنها مقيدة بالنص القرآني الحاكم عليها. حيث إن معرفة النفس لا يكفي بل ضمن إطار الشرع، ولا يكفي معرفتها أن يكون الإنسان على خلق قويم، بل يلزمه السلوك، فالنفس بحاجة لتقويم وتطهير، تصدقه الممارسة والعلاقات.

ووجه الحكمة أنه تعالى لما رشحه لعبادته وخلافته وعمارة أرضه وهيأه مع ذلك لمجاورته في جنته اقتضت الحكمة أن يجمع له القوتين فإنه لو خلق كالبهيمة معرى عن العقل لما صلح لعبادة الله وخلافته كما لم يصلح لذلك البهائم ولا لمجاورته ودخول جنته. ولو خلق كالملائكة معرى عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه كما لم يصلح لذلك الملائكة[1].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٣٠

ثانياً: اختلاف الناس

بين الراغب سبب اختلاف الناس في أخلاقهم، فمنهم من يتمسك بالعقل والأخلاق، ومنهم من تهوي به الشهوة إلى مدارك السوء. مستنداً إلى قول الرسول الكريم: "الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة"(١). ولكن الراغب الأصفهاني، يرى أن من هداه الله وراعى نفسه، فقد أفلح، ومن أهمل نفسه فقد حرمه الله من التوفيق وبذلك باء بالخيبة والخسران(٢). كما قال الله ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[الشمس: ٩. ١٠].

قسم الراغب الأخلاق ثلاثة أقسام: فطرية، وموروثة ومكتسبة، أما الفطرية فهي خيرية بحتة، ولكن اختلاف الأخلاق نابع من التفاوت في الاستعداد والتقبل، وذلك للأسباب التالية:

١. اختلاف الأمزجة والطينة والخلقة(٣). دلل على ذلك بقوله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٦]. واستشهد بما يروى عن أصل الخلق: أن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، الراوي: عبد الله بن عمر، الكتاب: الرقاق، الباب: رفع الأمانة، الجزء: الصفحة: ١٦١٥، رقم الحديث: ٦٤٩٨

(٢) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٣١

(٣) انظر: الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٤٧

الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر، والأسود، والأبيض، وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث، والطيب[١].

٢. اختلاف سلوك الوالدين. وذلك أن الإنسان قد يرث من أبويه آثار ما هما عليه من جميل السيرة والخلق وقبيحهما كما يرث مشابهتهما في خلقهما[٢]، فالراغب يرى أن الإنسان يرث من أبويه ما هما عليه من الأخلاق ولهذا قال الله عزوجل: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

٣. اختلاف النطفة التي يخلق منها الطفل والدم الذي يتربى به، فذلك له تأثيره بحسب ما تكونا منه وخبثه[٣].

٤. أثر الرضاع والمطعم الذي ينشأ عليه، ولهذا التأثير تقول العرب لذي الفضل: لله دره[٤].

٥. اختلاف التربية والتنشئة والتأديب والتهذيب. فمن حق الطفل على الوالدين أن يتعلم الشعائر الدينية[٥]. ومثال ذلك قال رسول الله: "مُروا

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، الراوي: أبو موسى الأشعري، الكتاب: السنة الباب: في القدر، الجزء السابع، الصفحة: ٧٨، رقم الحديث: ٤٦٩٣، وأخرجه الترمذي، رقم الحديث: ٣١٨٨، من طرق عن عوف بن أبي جميلة، وقال: هذا حديث حسن صحيح

(٢) انظر: الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٤٧

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٤٨

(٤) انظر: الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٤٨

(٥) انظر: الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٤٨

أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعٍ سنينَ واضربوهُم عليها وهمْ أبناءُ عشرٍ"(١)).

٦. اختلاف المذاهب والآراء بين الناس، فيمن يتخصص به ويخالطه وقد قيل "عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه"(٢).

٧. اختلاف اجتهاده في تزكية نفسه بالعلم والعمل حين استقلاله بنفسه(٣).

والفاضل التام الفضيلة من اجتمعت له هذه الأسباب المسعدة، وهو أن يكون طيب الطينة معتدل الأمزجة، جارياً في أصلاب آباء صالحين ذوي أمانة واستقامة، متكوناً من نطفة طيبة ومن دم طمث طيب على مقتضى الشرع، ومرتضعاً بدر طيب، ومأخوذاً في صغره من قبل مربيه بالآداب الصالحة، وبالصيانة عن مصاحبة الأشرار، ومتخصصاً بعد بلوغه بمذهب حق، ومجهداً نفسه في تعرف الحق مسارعاً إلى الخير، فمن وفق في هذه الأشياء، تنجع فيه الخيرات من جميع الجهات. لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم(٤).

ويشير الأصفهاني إلى أن الإنسان مختار لأفعاله، ولذلك فالإنسان مطالب بالعمل الحسن، وكسب الفضائل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. مدللاً

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، الراوي: عبد الله بن عمرو، الكتاب: الصلاة، الباب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، الجزء: الأول، الصفحة: ٣٦٦، رقم الحديث: ٤٩٤، وأخرجه الترمذي، رقم الحديث: ٤٠٩، من طريق عبد الملك بن الربيع بهذا الإسناد. وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٤٩

(٣) انظر: الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٤٩

(٤) انظر: الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٤٩

بقوله ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وكان السلف الصالح، يعلمون أن القدر لا يمنع الاجتهاد، وأن التوكل لا يعني الاتكال، ولذلك قال أحد الصحابة: ما كنت أشد اجتهادًا مني الآن، وهذا يدل على فقه الصحابة وفهمهم لأمور دنياهم ودينهم[١].

إذن، فإن هذا الاختلاف والتفاوت بين الناس، لا يمنع التغيير في أخلاقهم، فهم على دروب شتى في ذلك. يتساءل الأصفهاني في معرض الحديث عن قدرة الإنسان على التغير، يقول: كيف يكون هذا في الإنسان ممتنعًا وقد وجدناه في بعض البهائم ممكنًا، فالوحش قد ينقل بالعادة إلى التأنس والجامح إلى السلاسة[٢]. يقول الراغب الأصفهاني: "الإنسان مفطور في أصل الخلقة على أن يصلح أفعاله وأخلاقه وعلى أن يفسدها، وميسر له أن يسلك طريق الخير والشر"[٣].

ولا شك "أن المرء محكوم إلى حد ما بعامل الوراثة، ولكن لا يمكن أن ينكر باحث ما للبيئة بمعناها الأعم، ومنها ما يدرسه من مختلف العلوم والفنون، من أثر قوي في تكييف عاداته وأخلاقه وتوجيهه وجهة خاصة في الحياة"[٤].

---

(١) انظر: ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل، ص٢٥

(٢) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٥١

(٣) الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٥٢

(٤) موسى، الأخلاق في الإسلام، ص١٤

ولما كان شرف الأشياء بتمام تحقيق الغرض من وجودها ودناءتها بفقدان ذلك المعنى، فإن الفرس إذا لم يصلح للعدو اتخذ للحمولة، والسيف إن لم يصلح للقطع اتخذ منشارًا، يقول: وكذلك فإن الذي لا يصلح لعبادة الله ولا لخلافته وعمارة الأرض، فالبهيمة خير منه. ولذلك قال الله تعالى في ذم الذين ثكلوا هذه الفضيلة: "إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل"[1].

نجد أن الراغب الأصفهاني، يحدد أن تفاوت الناس في السعي كل بحسب طاقته وجهده وسعيه. والإنسان تتصارع فيه قوى الخير والشر، وله فيها ما لسائر الكائنات.

ثالثاً: العبادة

لقد عرّف الإمام الأصفهاني العبادة بقوله: "فعل اختياري مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى طاعة للشريعة"[2]. قال الله ﷻ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]. وقال عز من قائل: {﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[البقرة: ١٣٨].

وأظهر دور العبادة وأهميتها في السلوك الأخلاقي، يقول: "فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانية، ومن رفضها فقد انسلخ عن الإنسانية فصار حيوانًا أو دون الحيوان"[3]؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ

---

(١) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٣٢

(٢) الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٧٧

(٣) الأصفهاني، تفصيل النشأتين، ص٥

﴿ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

فهو بنظرته إلى العبادة لم يقتصر على المعنى الأخلاقي لها كفعل مناف للشهوات، ولكنه جعل الأعمال الإنسانية كلها لوناً من العبادات، أي أنه بالاصطلاح الحديث جعل سيطرة الإنسان على كل وسائل الإنتاج ونجاحه في الاكتشافات العلمية في باطن الأرض وظاهرها وتعميرها واستغلال كنوزها واستخدام صنوف الآلات المبتكرة في توفير احتياجات الإنسان وتحقيق سعادته والتمتع بالخيرات، وحثَّ على بذل الجهود الإنسانية بقواها كافةً مباشرة أو بواسطة الآلات للوصول إلى تسخير المادة وتحسين الحياة على ظهر الأرض جاعلاً من كل هذه الأعمال لوناً من العبادات(١).

والعبادة، تزيد وتنقص، كالإيمان، "ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: إن استطعت أن تعمل لله في الرضا باليقين فاعمل وإلا ففي الصبر على ما تكره خير كثير"(٢). أما مكارم الشريعة فيحتاج الإنسان أن يهذب بها نفسه قبل غيره، حيث ذم الله تعالى من يأمر غيره بالمعروف، وينهاه عن المنكر. فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢]. كما لم يحصر الراغب الأصفهاني العبادة كسلوك مناقض للشهوات، ولكن جعلها في كل فعل يتحراه الإنسان، سواء كان الفعل واجباً أو ندباً أو مباحاً.

(١) انظر: حلمي، الذريعة كما يوضحها الراغب، ص٢١٠

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، الراوي: عبد الله بن يزيد، الجزء: الثالث، الصفحة: ٢٤٤- ٢٤٥، رقم الحديث: ٢٨٠٤، وقد روى الترمذي هذا الحديث، وقال: حديث حسن صحيح.

وعن العلاقة بين الشريعة والعبادة، وضح ذلك الراغب الأصفهاني، معتبراً أن مبادئ مكارم الشريعة، تتمثل في طهارة النفس من خلال التعلم، والعفة، والصبر، والعدل، ونهايتها أي نتائجها تتمثل في الحكمة والجود والحلم والإحسان، فمن خلال مبدأ التعلم يصل الإنسان إلى الحكمة، ومن خلال مبدأ العفة يصل الإنسان إلى الجود، ومن خلال مبدأ الصبر يصل الإنسان إلى الشجاعة، ومن خلال مبدأ العدالة يصل إلى مرتبة تصحيح أفعاله وسلوكه. ومن تم له ذلك، فقد حصلت له المكرمة، قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

والإنسان لن يتحصل على المكرمة ما لم يؤد واجب العبادات على أكمل وجه. فإن أداء العبادات هو العدالة، فيما المكارم تكون من الأنفال والأفضال[١].

وفي النفس البشرية قوتان متصارعتان: القوة الشهوية والقوة العقلية، فـ"من صرف همته كلها إلى تربية القوة الشهوية باتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام، فخليق به أن يلحق بأفق البهائم"[٢].

وقد وضح الأصفهاني، طريقة التعاطي مع تلك القوى، بقوله: نظر إلى أعلى: أي نحو العقل، حيث المعارف والتمييز بين الحسن والقبيح، والتزام الحسن واجتناب القبيح. نظر إلى تحت: أي نحو الهوى، حيث تنسى الحقائق

(١) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٣٤

(٢) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٨

وتكون خسائس الأخلاق. والنفس الأخلاقية هي التي تديم النظر إلى الأعلى، ولا تأخذ من اللذات البدنية إلا بما يوافق العقل الخاضع للشرع[1].

ويترتب على ذلك النظر للأعلى مجموعة من الفضائل التي يتوجب على الإنسان المسلم أن يلتزم بها ويمتاز عن غيره من الكائنات، وهذا ما سوف نعرضه في الفضيلة ومراتبها.

١. الفضيلة:

رسم الراغب الأصفهاني صورة متكاملة للفضائل الأخلاقية، حيث يقول: "العقل والعفة والشجاعة والجود والعدالة، وسائر الفضائل تتلازم، فإن العقل إذا أشرق عقل صاحبه عن الإقدام على ما يورثه مذمة وحمله على الإقدام على المخاوف التي تورث المحمدة، وعلى أن يتم بفضل ما في يده لمن يحتاج إليه، وأن يبذل لكل ذي حق حقه"[2].

وقد عرَّف الراغب الأصفهاني الفضيلة بأنها: "اسم لما يحصل به للإنسان مزية على الغير، وهي اسم لما يتوصل به إلى السعادة ويضادها الرذيلة"[3]. وحسب قوله لا يمكن الوصول إلى الفضيلة المطلقة، إلا بأربعة أشياء: العقل وكماله العلم، والعفة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدالة وكمالها الإنصاف، وهي المعبر عنها بالدين[4].

---

(١) انظر: الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٢٤، ٢٥

((٢) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٦٩

(٣) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٦٥

(٤) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٦١

والفضائل النفسية كما قسمها الأصفهاني قسمان: نظري وعملي. وكل قسم له وجهان:

- بشري: يستلزم التدريب والممارسة، ويتدرج فيه الإنسان، حسب اختلاف طبائع الإنسان.
- إلهي: حيث يولد الإنسان فاضلاً من غير تعلم، مثل الأنبياء: عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا "عليهما السلام". وعلى ذلك فمن صار فاضلاً طبعاً وعادة فهو كامل الفضيلة، ونقيضه كامل الرذيلة[1].

وهذه الفضائل النفسية الأربعة، يندرج تحتها العديد من الفضائل الفرعية، نوضحها كما يلي:

- **الحكمة**: تعتبر الحكمة من الفضائل العظيمة، التي يهتدي بها الإنسان إلى طريقه القويم، ويرى الراغب الأصفهاني أن الحكمة هي أشرف منزلة العلم، مفسراً قوله ﷻ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. حيث قال الأصفهاني: "ثم بتعليمهم الكتاب يوصلهم إلى إفادة الحكمة وهي أشرف منزلة العلم"[2]. وقد وصف الله – عزوجل – الحكمة بالخير الكثير، ومن تملكها فقد تملك هذا الخير.

وقد عرفها الراغب الأصفهاني لغوياً، في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن الكريم": "حكم أصله: منع منعاً لإصلاح، ومنه سميت اللجام: حكمة

(١) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٥٨

(٢) القاسمي، تفسير القاسمي، ج٢، ص٢٦٠

الدابة، فقيل: حكمته وحكمت الدابة: منعتها بالحكمة، وأحكمتها: جعلت لها حكمة، وكذلك: حكمت السفيه وأحكمته[1].

فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات. وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢]. كما دلل الأصفهاني على ورود الحكمة في آيات القرآن الكريم في عدة مواضع[2].

ويعني بذلك أن الحكمة كفضيلة أخلاقية، تستمد معرفتها من المعارف العقلية. والإنسان مطالب بإحكام عقله وتوجيهه الوجهة الصحيحة. والحكمة تقع بين ضدين، بين الفضيلة والرذيلة، ولذلك هي حاكمة، تحكم النفس والبدن.

- **الفهم والحفظ**: يقول: "إن العقل متى تقوى تولد من حسن نظره جودة الفكر وجودة الذكر، ومن حسن فعله الفطنة وجزالة الرأي، وتولد من اجتماع أربعتها جودة الفهم وجودة الحفظ"[3]. وهي تمثل رأس القوة الناطقة، ومن خلالها يهتدي الإنسان ويتلقى المعارف. فهي تستمد معرفتها من العقل، وهي التي تمكن الإنسان من التمييز ومعرفة الخطأ من

(١) انظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٢٤٨

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٢٤٨

(٣) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٧٢

الصواب والحسن من القبيح. ويتوجب على الإنسان أن يأخذ بهذه الفضيلة السامية.

- **الشجاعة**: يقول: "متى تقوّت تولد منها الجود في حال النعمة، والصبر في حال المحنة، والصبر يزيل الجزع، ويورث الشهامة المختصة بالرجولية"(١)، والشجاعة هي فضيلة القوة الغضبية، حيث يستطيع الإنسان حماية نفسه ودفع الضرر. وإذا سارت بمنطق العقل دون إفراط أو تفريط حققت الغاية منها. لأن الإفراط يعني التهور، والتفريط يعني الجبن.
- **العفة**: يقول: "إذا تقوت ولدت القناعة، والقناعة تمنع عن الطمع في مال غيره، فولدت الأمانة"(٢). وتعني اجتناب كل ما يتعلق بالشهوات الحسية والجسمانية، مما ينتج عنها الفضائل مثل: الكرم، النبل، المسامحة. والعفة خاضعة للعقل، وإذا انتظمت الشهوة، تنتج العفة.
- **العدالة**: يقول: "إذا تقوت تولد الرحمة، والرحمة هي الإشفاق من أن يفوت ذا حق حقه فهي تولد الحلم، والحلم يقتضي العفو، فالإنسانية والكرم يجمعان هذه الفضائل"(٣). والعدالة هي انتصاف الفرد من نفسه وعلى نفسه، وهي التي تمثل كل الفضائل، حيث إن اكتساب الفضائل وتجنب الرذائل يعني الاعتدال. وهو ما يتحقق بفضل إلهي متمثل في الشرع، وفضل نفسي متمثل في العقل.

---

(١) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٧٢

(٢)المرجع السابق، ص٧٢

(٣) المرجع السابق، ص٧٢

ومعرفة هذه الفضائل، لن تكون ذات جدوى، إذا لم تقترن بسلوك أخلاقي. ولذلك فإن أساس الالتزام بهذه الفضائل عند الأصفهاني هو معرفة الإنسان لنفسه، ومعرفة هذه الفضائل، ومن ثم العمل على الموازنة بينها وتطبيقها على الوجه المطلوب.

حيث إن الفضيلة عنده تكتسب بالتربية والرياضة والتخلق، والرذيلة بالإهمال. فإن كلاً منهما قابل للزيادة والنقص، فكل متعاط لفعل من الأفعال النفسية فإنه يتقوى فيه حسب الازدياد منه إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فباحتمال صغار الأمور يمكن احتمال كبارها، وباحتمال كبارها يستحق الحمد[1]. يقول: "ولا يصير الإنسان خارجاً من جملة البهائم وأسر الهوى إلا بإماتة الشهوة البهيمية لو بقهرها وقمعها، إن لم يمكنه إماتته إياها، فهي التي تضره وتغره وتصرفه عن طريق الآخرة"[2].

نستنج أن الشرع عند الأصفهاني يشكل بعداً أخلاقياً، فلا شيء حسن لذاته، ولا شيء قبيح لذاته. ولكن الحسن ما أمر الله به، والشر والقبح ما نهى الله تعالى عنه.

والخير هو ما كان وفق ما أمر الله به، حيث تصدر الأفعال من محض إرادة الإنسان، بما يتوافق مع الشرع والعقل، وبذلك تتحقق الحياة السعيدة والمرضية.

---

(١)الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٦٩

(٢) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٥٢

وغاية الإنسان هو تحقيق الخير والسعادة على مستوى وعلى مستوى المجتمع والجماعة.

٢. الخير والسعادة

اختلف علماء الأخلاق فيما يكون باعثاً للغايات، هل هي اللذة أم العقل أم المشاعر والحاجات الوجدانية؟ ولذا قسم الراغب فعل الخيرات الدنيوية والأخروية إلى أقسام تختلف بحسب درجة الباعث.

- أدناها مرتبة الترغيب، والترهيب ممن يرجى نفعه ويخشى ضره، وهي فعل العامة.
- رجاء الحمد وخوف الذم ممن يعتد بحمده وذمه، وذلك فعل كبار أبناء الدنيا.
- تحري الفضائل وينطلق من مقتضى العقل وذلك فعل الحكماء[١].

أما البواعث على طلب الخيرات الأخروية فهي ثلاثة أيضًا:

- الرغبة في ثواب الله تعالى والمخافة من عقابه وتلك منزلة العامة.
- رجاء حمده تعالى ومخافة ذمه وتلك منزلة الصالحين.
- طلب مرضاته ﷻ وهي منزلة النبيين والصديقين والشهداء وهي أعزها وأجودها[٢].

---

(١) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٨١

(٢) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٨٢

ويذكر الأصفهاني، أن الخيرات التي يملكها الإنسان بإرادته الخاصة، تمثل سبيله إلى الرضا، ولذلك فيجب عليه المحافظة عليها، من أجل استمرار حياته المرضية. مؤكداً على الممارسة العملية لها.

وبما أن العقل مشترك وعام عند بني البشر، كانت الحقائق ثابتة، فنحن نعرفها من طريق واحد، حيث لا فضيلة إلا المعرفة ولا رذيلة إلا الجهل. فالإنسان لا يستطيع عمل الخير ما لم يعلم الخير، ومعرفة أن هذا الشيء خير عقلاً هي الباعث لنا على إتيانه فعلاً، وأن المرء لا يأتي الشر وهو عالم به، لأن كل إنسان يحب الخير لنفسه، كما يكره الشر لها، فمن المستحيل إذاً أن يأتي ما يضره وهو عالم بضرره، وليس عثار إرادة المرء أو خطؤها بالوقوع في الإثم الأخلاقي إلا ضلال العقل نفسه[١].

نرى أن الأصفهاني يعتبر أن الباعث وسبيل المعرفة هو العقل وحده، وذلك لأن الحواس الأخرى قاصرة عن إدراك الجزئيات. ولذلك فالإنسان العاقل هو الذي ينبعث عقله لفعل الخير حباً ورغبة. مع الاختلاف أن الأصفهاني يعتبر العقل باعثاً تحت ميزان الشرع وفي ظله.

أما السعادة الحقيقية فما تزال تشغل بال المفكرين وعامة الناس، فهي من أهم القضايا الحاضرة في الذهن البشري منذ القدم. وربما كانت القضية الوحيدة التي يتفق الناس على طلبها وبلوغها، بوصفها الهدف الأسمى للإنسان في هذه الحياة.

---

(١) انظر: موسى، مباحث في فلسفة الأخلاق، ص١٢٠، ١٢١

والسعادة ضد الشقاوة، وهي الرضى التام بما تناله النفس من الخير، والفرق بين السعادة واللذة، أن السعادة حالة خاصة بالإنسان، وأن رضى النفس بها تام، على حين أن اللذة حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان، وأن رضى النفس بها مؤقت، ومن شرط السعادة أن تكون ميول النفس كلها راضية"[1].

وهي الغاية التي يسعى كل المسلم للوصول إليها بعد حياة طويلة من العبادة والتقرب إلى الله، فالسعادة الحقيقية هي الخيرات الأخروية حسب الراغب الأصفهاني[2].

وإذا كانت السعادة هي مطلب العامة والخاصة، فما كيفية الوصول إليها، هنا يقول الأصفهاني، بأن الوصول إليها لا يكتمل إلا باكتساب الأخلاق النفسية. واستدل على ذلك بقوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[الإسراء: ١٩]

يقول الأصفهاني في وصف السعادة الحقيقية: "وهو الخير المحض والفضيلة الصرف وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وعلم بلا جهل، وقدرة بلا عجز، وغنى بلا فقر"[3]. قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[هود: ١٠٨].

---

(١) صليبا: المعجم الفلسفي، ص ٦٥٦

(٢) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص١٥٢

(٣) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٦١

والحد الفاصل بين الدنيا والآخرة، بين هذه الحياة وتلك الحياة، هو الموت. فالإنسان حين ينفصل عن هذه الحياة، فقد اتجه إلى مصيره الأخروي، إما السعادة الحقيقية أو الجحيم. ولذلك من الواجب على المسلم أن يتخلص من أمراضه الدنيوية للوصول إلى الغاية الكبرى بقلب سليم. يقول الله ﷻ: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠].

يتبين لنا من خلال هذا العرض، أن الراغب يطلب من الإنسان استثمار قواه الأصيلة وفطرته السليمة لتحقيق السعادة الأخروية المرهونة باكتساب الفضائل الحميدة، قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

في ختام هذا المبحث، نجد أن الراغب الأصفهاني قد وضع منهاجه الأخلاقي موافقاً للشرع، وأن الرابط الوحيد والحاكم الأساسي يبقى دائماً العقل المتصل بالشريعة الإسلامية، والسائر وفق منظومتها الأخلاقية، حتى تحقق السعادة الحقيقية التي يرجوها كل إنسان على هذه الأرض.

الخاتمة: أولاً: نتائج البحث

١. قام الراغب الأصفهاني بتأصيل منهجه الأخلاقي تأصيلاً شرعياً، معتمداً على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٢. ربط الأصفهاني بين علم الأخلاق والأسس الدينية المستمدة من الكتاب والسنة.

٣. صاغ الأصفهاني مفهومه للأخلاق عقلياً وانقياده للشرع الحنيف.

٤. استناد الأصفهاني إلى كثير من الأحاديث النبوية الضعيفة أو الموضوعة.

٥. عني الراغب الأصفهاني بفكرة "خلافة الأرض وعمارة الأرض" التي عدها من أهداف خلق الإنسان.

٦. أن المعارف والأخلاق الناشئة من الفطرة والدين الحنيف لم تتغير، وبقيت ثابتة، ولكن واقع المسلمين هو المتغير، وهذا ما يتطلب مراجعة ذاتية وموضوعية.

٧. أظهر الراغب الأصفهاني ارتباطاً وثيقاً بين المنهج الأخلاقي والسلوك، حيث إن المنهج يقوم بضبط سلوك الفرد وتقويمه وإصلاحه، كما يحفظ تماسك المجتمع المسلم.

٨. كشف الراغب الأصفهاني في معالجته للأخلاق عن الكوامن النفسية الموجهة للإنسان وتصوراته للقيم الأخلاقية.

ثانياً: توصيات البحث:

١. الاعتناء بالتراث الإسلامي الذي عالج القضايا الأخلاقية.

٢. الاهتمام بدراسة كتب الأصفهاني خاصة المخطوطات، وتحقيقها ونشرها.

٣. إبراز أثر الأصفهاني بوصفه إماماً من أئمة المسلمين العارفين بالدين والأخلاق.

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

كتب السنة

المصادر

١. ابن حزم، أبو محمد. الفصل في الملل والأهواء والنحل. بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٩٩٧م.

٢. ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٣هـ.

٤. أحمد، طيبي سيد. آراء تربوية للراغب الأصفهاني من خلال رسالته "في فضيلة الإنسان بالعلوم". الجزائر: كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، المجلد١٠، العدد٣، ٢٠٢١م.

٥. الأصبهاني، الميرزا عبد الله. رياض العلماء وحياض الفضلاء. طهران: مطبعة الخيام، ت: السيد أحمد الحسيني، ١٤٠١هـ.

٦. الأصفهاني، الراغب. الذريعة إلى مكارم الشريعة. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٠م.

٧. الأصفهاني، الراغب. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣١٩هـ.

٨. الأصفهاني، الراغب. مفردات ألفاظ القرآن الكريم. بيروت: دار القلم، تحقيق: صفوان الداوودي، ط١، ١٤١٢هـ.

٩. الأصفهاني، الراغب. رسالة في أدب الاختلاط بالناس ورسائل أخرى. ت: عمر عبد الرحمن الساريسي، عمان: أرقة للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٣م.

١٠. الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق ودراسة أبو اليزيد العجمي، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٧م.

١١. باأخضر، حياة بنت سعيد بن عمر. النفس عند الفلاسفة الإغريق. الرياض: مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٤٦، محرم ١٤٣٠هـ.
١٢. بدوي، عبد الرحمن. مناهج البحث. الكويت: وكالة المطبوعات، ط٣، ١٩٧٧م.
١٣. توفيق، صلاح الدين محمد. التربية عند الراغب الأصفهاني. القاهرة: جامعة بنها، كلية التربية، مجلد ٢١، عدد٨٢، ٢٠١٠م.
١٤. الجوزية، ابن القيم. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٢٣هـ.
١٥. الجوزية، ابن القيم. التبيان في أقسم القرآن. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، (د.ط).
١٦. حلمي، مصطفى. الذريعة إلى مكارم الشريعة كما يوضحها الراغب الأصفهاني. الرياض: مجلة الدارة ١٣٩٧هـ.
١٧. الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ.
١٨. الزركلي، خير الدين. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، تحق: افتخار دنينير، ط١٤، ١٩٩٩م.
١٩. زمزمي، يحيى. المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم. السعودية: جامعة أم القرى، ٢٠٠٤م.
٢٠. السيوطي، جلال الدين. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان: المكتبة العصرية.
٢١. صليبا، جميل. المعجم الفلسفي. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ج٢، ١٩٨٢م.
٢٢. الطهراني، أغار برزك. طبقات أعلام الشيعة. بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ت: ولده علي نقي منزوي، ١٣٩٢هـ.
٢٣. عمر، فاطمة نصيف. أخلاقنا في الميزان. جدة: دار المحمدي، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٤. الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ج٣، ١٩٧١م.

٢٥. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب الفيروز. القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة، ط٨، ٢٠٠٥م.
٢٦. قاسم، محمد. المدخل إلى مناهج البحث العلمي. بيروت: دار النهضة العربية، ط١، ١٩٩٩م.
٢٧. القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي. تفسير القاسمي محاسن التأويل. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دمشق: عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٧م.
٢٨. الناهي، صلاح الدين. الخوالد من آراء الراغب الأصفهاني في فلسفة الأخلاق والتشريع والتصوف. عمان: دار عمار، ط١، ١٩٨٧م.

fhrs AlmSAdr wAlmrAjς:

AlqrĀn Alkrym

ktb Alsnħ

AlmSAdr

1. Abn Hzm، Âbw mHmd. AlfSl fy Almll wAlÂhwA' wAlnHl. byrwt: dAr Aljyl، T2، 1997m.
2. Abn ςAŝwr، mHmd AlTAhr. AltHryr wAltnwyr. twns: AldAr Altwnsyħ llnŝr، 1984m.
3. Abn mnĎwr، mHmd bn mkrm. lsAn Alςrb. byrwt: dAr ĂHyA' AltrAθ Alςrby، T3، 1413h-.
4. ÂHmd، Tyby syd. ĀrA' trbwyħ llrAγb AlÂSfhAny mn xlAl rsAlth "fy fDylħ AlĂnsAn bAlςlwm". AljzAŶr: klyħ Alςlwm AlĂnsAnyħ، jAmςħ AljzAŶr، Almjld10، Alςdd3، 2021m.
5. AlÂSbhAny، AlmyrzA ςbd Allh. ryAD AlςlmA' wHyAD AlfDlA'. ThrAn: mTbςħ AlxyAm، t: Alsyd ÂHmd AlHsyny، 1401h-.
6. AlÂSfhAny، AlrAγb. Alðryςħ ĂlŶ mkArm Alŝryςħ. byrwt: dAr Alktb Alςlmyħ، T1، 1980m.
7. AlÂSfhAny، AlrAγb. tfSyl AlnŝÂtyn wtHSyl AlsςAdtyn. byrwt: dAr Alktb Alςlmyħ، 1319h-.
8. AlÂSfhAny، AlrAγb. mfrdAt ÂlfAĎ AlqrĀn Alkrym. byrwt: dAr Alqlm، tHqyq: SfwAn AldAwwdy، T1، 1412h-.
9. AlÂSfhAny، AlrAγb. rsAlħ fy Âdb AlAxtlAT bAlnAs wrsAŶl ÂxrŶ. t: ςmr ςbd AlrHmn AlsArysy، ςmAn: Ârqħ lldrAsAt wAlnŝr، T1، 2013m.
10. AlÂSfhAny، Alðryςħ ĂlŶ mkArm Alŝryςħ، tHqyq wdrAsħ Âbw Alyzyd Alςjmy، AlqAhrħ: dAr AlslAm llTbAςħ wAlnŝr wAltwzyς wAltrjmħ، 2007m.
11. bAÂxDr، HyAħ bnt sςyd bn ςmr. Alnfs ςnd AlflAsfħ AlĂγryq. AlryAD: mjlħ jAmςħ Âm AlqrŶ lςlwm Alŝryςħ wAldrAsAt AlĂslAmyħ، Alςdd 46، mHrm 1430h-.
12. bdwy، ςbd AlrHmn. mnAhj AlbHθ. Alkwyt: wkAlħ AlmTbwςAt، T3، 1977m.
13. twfyq، SlAH Aldyn mHmd. Altrbyħ ςnd AlrAγb AlÂSfhAny. AlqAhrħ: jAmςħ bnhA، klyħ Altrbyħ، mjld 21، ςdd82، 2010m.
14. Aljwzyħ، Abn Alqym. ŝfA' Alςlyl fy msAŶl AlqDA' wAlqdr wAltςlyl. AlryAD: mktbħ AlryAD AlHdyθħ، 1323h-.
15. Aljwzyħ، Abn Alqym. AltbyAn fy Âqsm AlqrĀn. AlryAD: mktbħ AlryAD AlHdyθħ، (d.T).
16. Hlmy، mSTfŶ. Alðryςħ ĂlŶ mkArm Alŝryςħ kmA ywDHhA AlrAγb AlÂSfhAny. AlryAD: mjlħ AldArħ 1397h-.
17. Alðhby، mHmd bn ÂHmd. syr ÂςlAm AlnblA'. byrwt: mŵssħ AlrsAlħ، T3، 1405h-.
18. Alzrkly، xyr Aldyn. AlÂςlAm. byrwt: dAr Alςlm llmlAyyn، tHq: AftxAr dnynyr، T14، 1999m.
19. zmzmy، yHyŶ. Almnhj AlÂxlAqy wHqwq AlĂnsAn fy AlqrĀn Alkrym. Alsςwdyħ: jAmςħ Âm AlqrŶ، 2004m.

20. AlsywTy، jlAl Aldyn. bγyħ AlwςAħ fy TbqAt Allγwyyn wAlnHAħ. AlmHqq: mHmd Âbw AlfDl ǍbrAhym، lbnAn: Almktbħ AlςSryħ.
21. SlybA، jmyl. Almςjm Alflsfy. byrwt: dAr AlktAb AllbnAny، j2، 1982m.
22. AlThrAny، ÂγAr brzk. TbqAt ÂςlAm Alŝyςħ. byrwt: dAr AlktAb Alςrby، T1، t: wldh ςly nqy mnzwy، 1392h-.
23. ςmr، fATmħ nSyf. ÂxlAqnA fy AlmyzAn. jdħ: dAr AlmHmdy، T1، 1422h-.
24. AlγzAly، Âbw HAmd. ǍHyA' ςlwm Aldyn. byrwt: dAr Alktb Alςlmyħ، j3، 1971m.
25. AlfyrwzĀbAdy، mHmd bn yςqwb Alfyrwz. AlqAmws AlmHyT. mŵssħ AlrsAlħ، T8، 2005m.
26. qAsm، mHmd. Almdxl ǍlŶ mnAhj AlbHθ Alςlmy. byrwt: dAr AlnhDħ Alςrbyħ، T1، 1999m.
27. AlqAsmy، mHmd jmAl Aldyn AlqAsmy. tfsyr AlqAsmy mHAsn AltÂwyl. tHqyq: mHmd fŵAd ςbd AlbAqy، dmŝq: ςysŶ AlbAby AlHlby، 1957m.
28. AlnAhy، SlAH Aldyn. AlxwAld mn ĀrA' AlrAγb AlÂSfhAny fy flsfħ AlÂxlAq wAltŝryς wAltSwf. ςmAn: dAr ςmAr، T1، 1987m.

***